

السيرة الذاتية في التراث العربي
د. خليل شكري هياس
جامعة الموصل / كلية التربية الأساسية

ملخص البحث:

تحاول الدراسة طرح موضوع السيرة الذاتية في الأدب العربي وجذور نشأتها بشيء من الاستقصاء ، كي تبرهن أن السيرة الذاتية ليست وليدة الثقافة الغربية . وإن نشأتها في الأدب العربي وتطورها لم تختلف كثيراً عن نشأتها في الآداب الغربية ، وإن كنا نفر بقلتها من حيث الكم الناتج مقارنة بالسيرة الذاتية الغربية . فمثلما مرت السيرة الذاتية بعدة مراحل في الأدب الغربي حتى استوت ونضجت على يد روسو ، ونلاحظ أن السيرة الذاتية العربية أيضاً مرت بعدة مراحل من الترجمة الذاتية التي شهدها في القرن الثاني والثالث حتى الخامس للهجرة ، إلى الاعترافات واليوميات والمذكرات في القرن الخامس ، ثم ظهور أولى الكتابات التي يمكن عدّها سيرة ذاتية من مثل سيرة أسامة بن منقذ (الاعتبار) ، واستوائها ونضوجها في القرنين الآخرين على يد محمد عبده وعلي مبارك واحمد فارس الشدياق في القرن التاسع عشر . وطه حسين واحمد أمين وميخائيل نعيمة في القرن العشرين .

لقد أثرنا طرح موضوع السيرة الذاتية في الأدب العربي وجذور نشأتها بهذا الاستقصاء ، كي تبرهن أن السيرة الذاتية ليست وليدة الثقافة الغربية . وأن نشأتها في الأدب العربي وتطورها ، لم يختلف كثيراً عن نشأتها في الآداب الغربية ، وإن كنا نفر بقلتها من حيث الكم الناتج ، مقارنة بالسيرة الذاتية الغربية . فمثلما مرت السيرة الذاتية بعدة مراحل في الأدب الغربي حتى استوت ونضجت على يد روسو ، نلاحظ أن السيرة الذاتية العربية أيضاً مرت بعدة مراحل من الترجمة الذاتية التي شهدها في القرن الثاني والثالث حتى الخامس للهجرة ، إلى الاعترافات واليوميات والمذكرات في القرن الخامس ،

ثم ظهور أولى الكتابات التي يمكن عدّها سيرة ذاتية من مثل سيرة أسامة بن منقذ (الاعتبار) ، واستوائها ونضوجها في القرنين الآخرين على يد محمد عبده وعلي مبارك واحمد فارس الشدياق في القرن التاسع عشر . وطه حسين واحمد أمين وميخائيل نعيمة في القرن العشرين .

ثمة سؤال يطرح نفسه على كل باحث في هذا الموضوع ، هو : هل عرف الأدب العربي للقديم هذا اللون من الأدب ؟ ومما يزيد هذا التساؤل مشروعية هو إدعاء الغرب أن هذا الفن «شكل من أشكال التعبير خاص بالثقافة الغربية».

وحجتهم في ذلك اهتمامهم المتزايد بالذات وشعورهم القوي بشخصيتهم وبوحدة الحياة الروحية للفرد، ولا سيما في عصر

للهضة وما تلاها إذ كان «للثورة الجذرية التي شهدها الثقافة الغربية مدارها على مفهوم الإنسان، فقد أنزلته من مطلقات المثل إلى مهمة الوجود ومجاهله حتى أمست النفس أرضاً لم تطأها قدم ، وقارة بحاجة إلى اكتشاف» .

ومن هنا أعيدت صياغة مفهوم الإنسان الفرد وأصبحت الأنا محل عناية بعد أن كانت مهملة في العصور الكلاسيكية ، وتحولت النظرة إلى الإنسان من البحث عن التتابع بينه وبين المثل العليا إلى التركيز على الانحرافات والألوان والشذوذ ومظاهر التفرد وضروب الضعف الإنساني .

وتبع هذا الفهم تغييراً جذرياً مفاده أن «الحديث عن النفس لم يعد مشروعاً مذموماً يجب الاعتذار له بل أصبح بالأحرى موضوع فخر» .

ومن هنا نجد أن للباحثين العرب آراء مختلفة ، فبعد الرحمن بدوي يرى أن العرب لم يعنوا بهذا النوع من الأدب لأسباب تتعلق بطبيعة الشخصية العربية، وأن الكتاب الذين كتبوا في هذا الباب قلة وأغلبهم ليسوا عرباً خالصاً بل ينتسبون إلى الجنس الآري من فرس وموال، وحتى هؤلاء القلة الذين كتبوا في هذا النوع الأدبي، لم يبلغوا الغاية التي قصدوا إليها منه، بوصفه يعنى بالتعبير عن الشخصية، كوحدة روحية لها كيانها الخاص ، وميزاتها الروحية التي تميزت بها . أما يحيى إبراهيم عبد الدايم وعبد السلام الممدي، فيريان عكس ذلك تماماً ، إذ يذهبان إلى أن السيرة الذاتية موجودة في الأدب العربي القديم ، وإن كان القدماء لم يعرفوا المصطلح الذي هو حديث للنشأة ليس في ألبنا وحدها ، بل في الآداب الغربية أيضاً.

وهذا كله يدعو إلى شيء من التروي، فسواء عرف الأدب العربي هذا اللون من الأدب أم لم يعرف، فإن هذا لا يعد عيباً ولا سيما أن «الأدب الإنساني» - وبحسب رأي المسدي - تختلف من حيث نمط الأجناس السائدة ومعايير تصنيفها، وذلك بحسب الحضارات وما لكل واحدة منها من سمات خصوصية حتى أصبح البحث في الأجناس الإبداعية مطية الدارسين إلى استكشاف القيم الحضارية والفكرية عامة من خلال القيم الجمالية والفنية» .

وبهذا لا يمكن الحكم لأمة من الأمم بتفوق حضاري، لكونها عرفت لونا من ألوان الأدب، كما لا يحكم على حضارة أخرى بالنقصان لأنها لم تعرفه . إذن لكي نحكم على السيرة الذاتية العربية القديمة، لابد من أن تكون معاييرنا ومقاييسنا في الحكم مستنبطة من نصوص التراث العربي القديم، لأن الأجناس الأدبية - كما أوضحنا آنفاً - تختلف بحسب الحضارات المنتمية لها . فنحن لا ننتظر من السيرة الذاتية العربية القديمة أن تصل إلى حد تعري النفس الفاضح، كما نجده في اعترافات أوغسطين أو روسو . ومن هذا المنطلق، يمكن القول أن الأدب العربي القديم عرف سيرة ذاتية،

ولكن ليس بمفهومها الاصطلاحي الحديث، ولا بمستواها الفني المعاصر، وإنما كانت «مشدودة إلى مبادئ ثقافية عامة تتصل بروية العربي قديماً لنفسه وللكون ولإله»

وهذا ما يؤكد عبد الفتاح كيليطو حين يذهب إلى أن السيرة الذاتية لما كانت ظاهرة نسبية مرتبطة بثقافة معينة وحقبة تاريخية بدأت في القرن الثامن عشر

لذلك يتحتم علينا ألا نقرأ السيرة الذاتية العربية القديمة بنفس المقاييس والمفاهيم السائدة اليوم،

على أن هذا لا يعني إلغاء معرفتنا بالسيرة الحديثة، أو نسيانها عند دراسة السيرة القديمة .

وتبرز مسألتان لابد من الوقوف عندهما قليلاً قبل الشروع في الاستشهاد بنماذج من السير الذاتية العربية القديمة:

١. اختلاف النقاد في تحديد نوعية النص الأدبي القديم، التي تتخذ من تجارب الكاتب الذاتية مادة أساسية لها، فبينما يضع إحسان عباس سيرة ابن خلدون (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً) ضمن السيرة الذاتية التي كتبت للتفسير والتعليل .

نجد الدكتور شوقي ضيف يضعها ضمن المذكرات السياسية .

ويعود هذا بطبيعة الحال إلى طبيعة النوع الأدبي من حيث طرائق الكتابة، فهي من أكثر الأنواع الأدبية انفتاحاً على مثيلاتها اللاتي تنتمين إلى العائلة الأجناسية الواحدة، فضلاً عن عدم اتضاح حدودها لدى الكاتب العربي القديم، ولا مفهومها الاصطلاحي الحديث، ولم ترق إلى المستوى الفني المعاصر. وإذا كان الأديب المعاصر لا يستطيع وضع هذا النوع الأدبي في حدود النوع الأدبي المستقل، ف يرى السير الذاتية العربية الحديثة تقترب من أسلوب المذكرات حيناً، ومن أسلوب المقالات حيناً آخر،

ومن أسلوب الرواية أو ما يسمى برواية السيرة الذاتية ثالثاً،

فما بالك بالكاتب العربي القديم الذي لم يكن يعرف حدود هذا النوع الأدبي ولا مفهومه الاصطلاحي الحديث ولا مستواه الفني المعاصر .

٢. التعبير عن الذات التي تكاد تكون غائبة في النثر العربي القديم، على نحو عام، وفي السيرة الذاتية على نحو خاص، باستثناء بعض الكتابات التي حاول فيها مؤلفوها عرض جوانب شخصية من تجاربهم في الحياة ()، ولكن محدودة مثل هذه التجارب لم تجعل منها ظاهرة واضحة في الأدب العربي القديم .

ومثل هذا التصور هو الذي حدا بعبد الرحمن بدوي إلى إقصاء السيرة الذاتية من الأدب العربي القديم من دون أن يلتفت إلى ملاحظة مهمة يمكن عدها خاصة بالسيرة الذاتية العربية القديمة وهي أنها «كتبت للإخبار عن الجانب (العمومي) من الشخص،

فما يعتمل في دواخل الإنسان من هواجس وأحلام ورغائب يكاد يكون غائباً»

وهذا يعود - كما أوضحنا فيما سبق - إلى مبادئ ثقافية عامة تتصل بروية العربي قديماً لنفسه وللكون ولإله . وقد لاحظ محمد أركون أن سبب ذلك يعود إلى أن قيمة الفرد في الإسلام تقاس بما يقدمه للأمة من عمل صالح، وبمدى تمثله للأوامر الإلهية، لذلك قلما تحدثوا عن أنفسهم في كتاباتهم، وإذا تحدثوا، فأقصى ما بلغوه إنما هو العمل بالمبدأ الإسلامي (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

فضلاً عن عامل أدبي آخر يتصل بتصوير العرب لفعل الكتابة، وعلاقة النص بمبدعه،

فالنثر العربي القديم - كما لاحظ حمادي صمود - لا يقول إلا ما يريد الآخر منه أن يقول ، ويرى أن ذلك عائد إلى أصل دفين في ذاكرة الثقافة العربية ، تتمثل بتأثر العربي بالقرآن الكريم الذي يعد أرقى نص في الوجود ، مع ذلك لا ينتسب إلى مؤلف من البشر ولا يعبر عن تجربة فرد ، ينفت في اللغة من روحه ، فأسس القرآن الكريم بذلك للقطع بين فعل الكتابة والذات الكاتبة .

وإذا ما ألقينا العامل الذاتي في السيرة الذاتية بوصفه حالة خاصة ، ليس في هذا النوع من الأدب حسب ، وإنما على صعيد النثر العربي القديم برمته ، وحاولنا أن نقف على أهم المعايير في كتابة السيرة الذاتية القديمة ، نجد أنها لا تتعدى الأمور الآتية :

١. الولادة والنسب .
 ٢. ذكر الشيوخ الذين أخذ منهم .
 ٣. الكتب التي قرأها .
 ٤. المناصب التي تولاها .
 ٥. أسفاره .
 ٦. أشعار المؤلف ورسائله المتبادلة مع معاصريه .
 ٧. دوره في الحياة سواء على الصعيد الاجتماعي أم السياسي أم الديني .
 ٨. تصوير الصراع .
 ٩. رسم خط بياني للحياة منذ الطفولة إلى مراحل متقدمة من حياة الكاتب .
- ترجع البدايات الأولى لكتابة السيرة الذاتية في الأدب العربي إلى القرنين الثالث والرابع للهجرة ، إلى تلك التراجم الذاتية التي حرص الكاتب على تدوينها ، في مقدمات كتبهم متأثرين في ذلك بالثقافتين اليونانية والفارسية . أما اليونانية فقد تأثر الكتاب العرب أكثر ما تأثروا بجالينوس في كتابيه (فينكس كتبه) و (في مراتب قراءة كتبه) ، ولما الفارسية فقد كان أثرها أقل من الأثر اليوناني ، إذ تأثر الكتاب العرب بمصدرين فارسيين ، الأول : ترجمة كسرى انوشروان الذي ذكره مسكويه في كتابه (تجارب الأمم) ، والثاني : ما جاء في بداية كتاب (كليلة ودمنة) الذي ترجمه ابن المقفع عن الفارسية من ترجمة (بورزويه) .

ويرى عبد الرحمن البديوي ، أن من «المؤلفين الإسلاميين من لم يتأثروا بمثال بورزويه حتى النهاية ، وذلك لأن بورزويه ينتهي إلى الشك والتوقف بعد طول بحث ، بينما النقطة الرئيسية في كل التراجم العربية ، هي في وصول الشخص إلى الإيمان بمذهب من المذاهب أو دين من الأديان» .

ويعد حنين بن إسحاق (ت ٢٦٠هـ) أول من طرق هذا الباب في الأدب العربي ، متأثراً في ذلك بجالينوس ، إذ كان مترجماً لكتبه ومعجباً به إعجاباً شديداً ،

وطبيعي أن يقتدي به في الحديث عن نفسه ، فكتب رسالة صور فيها ما لقيه من محن وشدائد من بعض نظرائه وأبناء حرفته وحتى أقاربه بسبب ما ناله من حظوة عند الخليفة العباسي المتوكل .

وقد احتفظ لنا ابن أبي أصيبعة بهذه الرسالة في كتابه (عيون الأنباء في أخبار الأطباء) .

وفي القرن الرابع للهجرة كتب أبو بكر الرازي (ت ٣١٣هـ) رسالة سجل فيها شيئاً من حياته ، نقلها ابن أبي أصيبعة في كتابه المذكور آنفاً ، وكان الغرض منها هو الرد على الاتهام المزعم من معاصريه على أنه لم يكن متزهداً في دنياه كما كان مقرط ، وقد عابوا عليه مداخلة الأمراء وأصحاب السلطان ، والتصرف في وجوه المعاش . وقد رد الرازي على ذلك ، لأن ما يقولونه عن مقرط غير صحيح في جملته ، إذ كان يسير هذه السيرة في بداية أمره ،

ثم أنقل عنها ، فتزوج وحارب ، وحضر مجالس اللهو .

ويستطرد الرازي من ذلك إلى بيان سيرته ، وخلاصة هذه السيرة تدور حول فكرة أساسية واحدة هي أن الله (سبحانه وتعالى) لم يخلق الإنسان للتمتع بلذات الحياة وحسب ، وإنما خلقه لهدف أسمى هو اقتناء العلم واستخدامه للعدل بعد الإيمان بالله وعبادته ، واقتصر في هذه الرسالة على حياته العلمية حسب .

ويلاحظ على الرسائل التي كتبت في القرنين الثالث والرابع للهجرة ، أنها لا تمثل سيرة ذاتية لأنها لا تعطي صورة واضحة وكاملة عن شخصية كاتبها ، وإنما اقتصرنا على إبراز جانب معين من جوانب الشخصية ،

ولمرحلة زمنية معينة ، ففي رسالة حنين بن إسحاق قصر كاتبها حديثه على فترة اتصاله بالخليفة العباسي المتوكل

وما أصابه من المحن على يد معاصريه ، أما حياته قبل ذلك وبعده فلم يذكر منها شيئاً ، وكذا الحال مع الرازي حين اقتصر في رسائله على حياته واتجاهه الفلسفي . ويبدو لنا أن هذه الرسائل هي أقرب إلى التراجم الذاتية منها إلى السيرة الذاتية. والتي من أهم مميزاتها أنها :

١. ليست مستقلة في كتاب خاص .
٢. لم يكن غرضها المباشر تناول حياة صاحب الترجمة .
٣. إن كتابها جله من العلماء والفلاسفة .

ونجد مثل هذه التراجم الذاتية أيضاً في القرن الخامس للهجرة ، إذ كتب كل من ابن سينا (ت ٤٣٨هـ) ، وابن الهيثم (ت ٤٣٠هـ) ، وعلي بن رضوان (ت ٤٦٠هـ) سيرهم الفلسفية ذكرها ابن أبي أصيبعة في كتابه ، فابن الهيثم يكشف في ترجمته عن حيرته وشكوكه في المعتقدات السائدة في زمانه واختلاف الفرق فيها ،

وقد ولد ذلك في نفسه صراعاً روحياً وفكرياً انتهى في آخر الأمر إلى أن الحق واحد وأن الاختلاف بين الطوائف والمذاهب إنما هو في طريق الوصول إليه ، ورأى أنه لا وسيلة للوصول إلى ذلك إلا بالتمسك بآراء يكون عنصرها الأمور الحسية وصورتها الأمور الفعلية ، والترجمة في مجملها مقالة ، صور فيها كاتبها حياته العلمية وما صنعه من علوم الأوائل إلى آخر سنة (٤١٧هـ) ، مظهراً تأثره الكبير بالفيلسوف اليوناني جالينوس .

أما ابن سينا فقد خلف لنا ترجمة قصيرة ، وصف فيها شطراً من حياته ، منذ عناية أبيه بتعليمه إلى سن الثانية والثلاثين من عمره ، على نحو موجز ، وهي لا تختلف عن التراجم الذاتية السابقة ، في أنها اقتصرنا على حياته العملية ، وتنقله من بلد إلى آخر .

وهكذا الحال مع ترجمة علي بن رضوان أيضاً ، إلا أنها اختلفت عن ترجمة ابن سينا من حيث طبيعة الشخصية ، فابن سينا يحدثنا عن نفسه في شيء من الزهو والإعجاب بالنفس في حين تتميز شخصية ابن رضوان بالتواضع ، وهذا عائد إلى طبيعة البيئة التي نشأ كل منهما فيها ، فقد كان والد ابن سينا ميسور الحال ، حرص على تربية ابنه فوفر له الأساتذة والمعلمين ،

في حين كان والد علي بن رضوان خبازاً على حد تعبير ابن أبي أصيبعة ، ومن هنا كان من الطبيعي أن يختلف غرض ابن رضوان في كتابة ترجمته عن ابن سينا في حين قصد من ترجمته أن تكون مذكرة للناس وانموذجاً يحتذونه ، نجد أن غرض ابن سينا الأساس هو وصف تاريخ حياته العلمي ، وصفاً خالصاً مجرداً بغض النظر عن أي شيء آخر .

وظهرت في القرن الخامس للهجرة -فضلاً عن هذه التراجم الذاتية- ألوان أخرى من الكتابة تقترب كثيراً من السيرة الذاتية تتمثل بالاعترافات والمذكرات واليوميات ، وإن كان النقد العربي القديم لم يعرف هذه الألوان بدلالاتها الاصطلاحية المعروفة اليوم . ومنها ما كتبه ابن حزم الأندلسي في كتابه (طوق الحمامة في الألفة والألاف) الذي يعد خطوة متميزة في الاعتراف واليوق بما في النفس ، واقتصر موضوعه على الحب حسب ، وامتاز الكتاب بـ «عمق النظرة ، وتحليل الأمور ، وبيان كوامن النفس الإنسانية فيما يخص هذا الجانب من الحياة» ،

وعلى نحو يكاد يكون متفرداً ، ليس على نطاق القرن الذي هو فيه حسب ، وإنما على نطاق الأدب العربي القديم برمته .

ومن هذه الاعترافات قوله في باب الوصل «ولقد جربت للذات على تصرفها ، وأدركت الحظوظ على اختلافها . فما للدنو من السلطان ، ولا للمال المستفاد ، ولا للوجود بعد العدم ، ولا للأوبة بعد طول الغيبة ، ولا للأمن بعد الخوف ولا للترويح على المال ، من الوقوع في النفس ما للوصل ، ولا سيما بعد طول الامتناع ، وحلول الهجر حتى يتأجج الجوى ، وتتوقد الأزاهير بعد إقلاع السحاب الساريات في الزمان السحج ، ولا خير المياه المتخللة لأفانين النوار ولا تألق القصور للبيض قد احتقن بها الرياض الخضر بأحسن من وصل حبيب قد رضيت أخلاقه وحمدت غرائزه» . ولكتاب زآخر بمثل هذه الاعترافات ،

ولولا اقتصار الكاتب على جانب واحد من جوانب حياته وهو الحب وحديثه عن «وقائع لبعض المحبين دون أن يسميهم ،

وأكبر الظن أنه هو نفسه صاحب هذه الوقائع ، وخاصة أنه يسوق دائماً وراءها أشعاراً تصور حالة المحب أو المحبوب في الواقعة» ، لكان كتاب طوق الحمامة أول كتاب يمثل هذا النوع الأدبي ، بمفهومه الاصطلاحي ،

يضاهي مثيله في الأدب الغربي الذي يدعي بأن هذا النوع الأدبي خاص به .

وترى أنغام شعبان أنّ تاريخ كتابة أول سيرة ذاتية مستقلة في الأدب العربي ، يعود إلى القرن الخامس للهجرة عندما كتب المؤيد في الدين ، داعي دعاة الفاطميين (ت ٤٧٠هـ) سيرته الذاتية . والكتاب هو مذكرات سياسية تعطي صورة دقيقة واضحة لما كانت عليه مصر في النصف الأول من القرن الخامس للهجرة . وغرضها كما يشير المؤلف في مقدمته ،

إعطاء الناس صورة واضحة عن جهده الذي بذله في إدخال كاليجار البويهى ملك فارس وهمدان في العقيدة الفاطمية الشيعية، وما لقيه من الصعوبات، وما أثر ضده من الفتن التي حاولت إبعاده عن الملك الفارسي .

أما شوقي ضيف فيرى أن هذا الكتاب لا يمثل سيرة مؤيد الذاتية ، وإنما هو مذكرات عن جهوده السياسية مثلت حقبة من حياته امتدت من سنة ٤٢٩ إلى ٤٥٠هـ . أما حياته قبل هذه الحقبة وبعدها ، فلم يعن بها أية عناية . وتبدو شخصية الكاتب أكثر وضوحاً في المذكرات التي كتبها الأمير عبد الله بن بلقين التي جاءت مستقلة في كتاب بعنوان (التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة) ، والكتاب تسجيل دقيق لتاريخ حياة صاحبه في أثناء حقبة حكمه و «تاريخ أسرته من بني زيري .. وقد تحرى فيه الصدق عن نفسه وعن جيرانه ، ووصف وصفاً مسهباً ما لقي من مشكلات في إمارته ، وما دبر ضده من ثورات ، وما دخل فيه مع المسلمين والمسيحيين من حروب ومعااهدات ومناقضات» .

أما الغرض من تأليفه فقد كان للدفاع عن النفس ، وإيضاح الحقائق التاريخية المتعلقة بإمارته ، وردّ التهم المنسوبة إليه من الكائدين له ، وقد أحس أن التاريخ لم ينصفه ، لذلك حرص على أن يترك شيئاً للتاريخ . ويمكن القول بأن هذه المذكرات تعد خطوة أخرى في التقدم نحو كتابة السيرة الذاتية ، إذ نجد شخصية الكاتب في تعبيره عن نفسه أكثر وضوحاً من مذكرات المؤيد في الدين ، وهي «وثيقة سايكولوجية من الطراز الأول» تحدث فيها عن الأحداث التي تعرض لها . وهو في عرضه لهذه الأحداث إنما يعرضها بجميع تفاصيلها ويجعلك الحاكم عليها . وأنت دائماً تحكم له بأنه كان حازماً في سياسته ، وأن ما صنعه كان الوجه الذي ينبغي أن يكون للعامل للحصيف .

وإلى جانب المذكرات نجد لونا آخر من ألوان الكتابة الذاتية في القرن الخامس للهجرة يتمثل في اليوميات التي كتبها الباخريزي (ت ٤٦٧هـ) عن حياته في زوزن ، وتقع في قسمين ، الأول : يمثل زيارته إلى زوزن ، والثاني : يمثل زيارته الثانية لها . وقد حققها محمد قاسم مصطفى في كتابه سماه (يوميات أديب) نص في السيرة الذاتية الأدبية في القرن الخامس الهجري) ، والقارئ لهذا الكتاب يجد أن العنوان لا يتطابق كلياً مع متن الكتاب الذي هو يوميات سجلها الباخريزي عن حياته في زوزن ، بمرحلتها الأولى والثانية ، التي وصف فيها علاقته برئيس زوزن ، ومجلسه وما يدور فيه ، وبذلك يكون نعت الكتاب بـ(يوميات أديب) متطابقاً تماماً مع متن الكتاب ، هذا فضلاً عن أن الكاتب نفسه كان على علم بهذا اللون من الأدب وقواعد كتابته إذ يقول في متن الكتاب : «فعلقت هذه للرزنامة ذكراً منها فوائد ، وناظماً فيها فرائد ، لكي يكون لمدة مقامي في هذه السدة أثر ، وينتظم بحسن سعيه سلك منتثر» .

ويؤكد الباخريزي معرفته بهذا اللون وقواعد كتابته في نص آخر ، عندما يذكر قصيدة للأديب البارح اقتصر فيها على أبيات تتناسب مع المقام الذي هو فيه إذ يقول : «وهي طويلة إلا أنني اقتصر على ما هو شرط الرزنامة» .

أما العنوان الثانوي (نص في السيرة الذاتية الأدبية في القرن الخامس الهجري) ، فلا ينسجم مع متن الكتاب ، إذ هو «وصف لا يتجسد في متن اليوميات فضلاً عن تعارضه مع العنوان الرئيس ، فاليوميات غير السيرة الذاتية ، كما أن إطلاقها على عمل واحد مستحيل ، لأن لكل منهما شروطاً ومزايا خاصة ، ويبقى من العنوان الثاني وصف السيرة الذاتية بالأدبية تجنيس غريب ، لأن أدبية السيرة الذاتية متضمنة في العمل عادة ، لا يختص بها وحدها» .

وهذه اليوميات تقوم مناسبة أو لقاء بين الباخريزي والعلماء ، أو الأبناء في زوزن ، وقلمنا نجد لهذه اليوميات

نظيراً في مثيلاتها من ألوان الكتابة الذاتية في تلك الحقبة، إذ يقول : «غدوت اليوم من النوم ، وفي رأسي من مشروب البارحة فضالة ، ملكت الخلاعة زمامي ، وجعلت الشيخ أبا مرة أمامي ، ونصبت خيال أبي نؤاس» . ويمكن القول بأن القرن السادس للهجرة ، وإن لم يقدم سيرة ذاتية كاملة إلا أنه شهد تطوراً ملحوظاً في هذا الجانب تمثل في تنوع ألوان الكتابة التي تعبر عن شخصية كاتبها بصورة مباشرة فقد شهد هذا العصر الاعترافات

والمذكرات ، واليوميات ، وهذه الأنواع الثلاثة من أكثر الأنواع قرباً من السيرة الذاتية وأكثرها تداخلاً معها . ويستمر الخط البياني في كتابة التراجم والسير الذاتية ، في القرن السادس للهجرة في التطور والنضوج ، فعلى صعيد التراجم الذاتية كتب كل من علي بن زيد البيهقي (ت ٥٦٥هـ) والسموأل بن يحيى المغربي (ت ٥٧٠هـ) والعماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ) ، وابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تراجمهم الذاتية . ولم تصل إلينا ترجمة كل من علي بن زيد البيهقي ، والعماد الأصفهاني إلا أن ياقوت الحموي احتفظ لنا في معجمه بهاتين الترجمتين ، أما سموأل فقد ضمنها رسالته التي سماها (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد)

وقد قسمها على ثلاثة فصول تحدث في الأول عن العقل وكيفية هدايته لصاحبه إلى تأدية الفرائض ، والثاني عن دعوة ابنه إلى دراسة الفقه حتى يعرف ما يجب عليه من الوضوء والصلاة والزكاة والحج ، والثالث تحدث فيه عن نفسه وكيفية حصوله على العلم ويدعوه إلى الأخذ به ولعله يرشده في دنياه . ومن الكتابات التي ذاع صيتها وعلا شأنها كثيراً ، ما كتبه الغزالي (ت ٥٠٥هـ) في كتابه (المنقذ من الضلال) صور فيه خلاصة تجربته الدينية ،

ووصف فيه رحلته العقلية ، وكيف وصل فيها إلى الحق ، وما عناه في نفسه حتى استخلص الحق ، بين اضطراب الفرق، وقد عدّ كل من أنيس المقدسي وعبد السلام المسدي (المنقذ من الضلال) سيرة ذاتية ، في حين ذهب أكثر الباحثين ومنهم إحسان عباس وعبد الرحمن بدوي ، إلى أن هذا الكتاب ليس سيرة ذاتية بالمعنى الدقيق، إذ أنه لا يصور إلا جانباً من أزمة روحية ، تعرض لها الغزالي ، ومن دون النظر إلى ما عداها . شهد القرن السادس للهجرة تطوراً كبيراً على صعيد السيرة الذاتية، إذ أنه التاريخ الحقيقي لولادة السيرة الذاتية العربية القديمة ويتمثل ذلك بسيرة (عمارة اليمنى) (ت ٥٢٧ هـ)، في كتابه (النكت العصرية في الأخبار عن الوزارة المصرية) ، وعنوان الكتاب لا يتطابق مع متنه ، فهو ليس طائفة من الأخبار عن الوزراء المصريين ، بقدر ما هو إخبار عن حياة

كاتبه نفسه ، وبعبارة أخرى هو سيرة ذاتية له .

وقد تحدث فيه عمارة عن ولادته ونشأته ونسبه وتعليمه وأساتذته الذين أخذ العلم منهم ونراه «يتحدث عن طفولته في شيء من التفصيل ناقلاً بعضاً من ذكرياته والأحداث ذات الأهمية في نفسه وهذا شيء جديد قياساً لما مر من سير ذاتية كان نهج أصحابها بصورة عامة ذكر التواريخ المهمة دون التطرق إلى تفاصيلها» مثال ذلك قوله «وأنكر وأنا طفل عمري ثماني سنين ، أن معلمي ، اسمه عطية بن محمد بن حرام ، بعثني إلى عمي علي ، ومعني لوح فيه إصرافه ، وتسمى عندنا في اليمن الرفعة ، وقال : لمض إلى الشيخ بهذا اللوح فلعله يدفع لنا بقرة لبونا ، فلما وصلت إليه ضمنني وأجلسني في حجره ، وتصفح اللوح وكانت فيه سورة (ص) ثم قال : كم ندفع إلى الأديب يا أبا حمزة فقلت : بقرة لبونا ، فضحك ثم أمر له بمائة بقرة لبونا معها أولادها ، ووهب له غلة أرض زراعة سمسم» .

وترى أنغام شعبان أن (النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية) هي أول سيرة ذاتية «قصدها صاحبها أن يعرف الناس به ، وليست أحداثاً عارضة تخدم غرضاً آخر يسعى إليه صاحبها . وقد صرح عمارة بهذا في كتابه فقال : «وعسى أن يقول من وقع في يده هذا المجموع خبرتنا عن غيرك فمن تكون، ومن يكون عمارة ؟»

هذا ما أجاب عنه هو في كتابه النكت العصرية

وهكذا نجد توافر أغلب الشروط والمميزات الخاصة بالسيرة الذاتية القديمة في هذا الكتاب وتتضح معالم السيرة الذاتية الكلاسيكية العربية أكثر ، مع السيرة الذاتية التي كتبها (أسامة بن منقذ) (ت ٥٨٤هـ) في كتابه (الاعتبار) ، الذي يعد أكمل سيرة ذاتية في التراث العربي القديم إذ أنها حاولت أن تغطي كل حياة صاحبها منذ طفولته إلى آخر أيام حياته، إذ كتبها وهو في التسعين من عمره .

ونهج فيها أسلوباً قصصياً اتسم بالسهولة والوضوح واعتمد على الحوار في نقل السمات المميزة لشخصيته،

وما طرأ عليها من تحول وتطور عبر تجارب عمر طويل ، وعلى الرغم من أن أسامة في سرده «أحداث حياته ، لا يعتمد التسلسل الزمني، وإنما اعتمد على طريقة التذكر والاسترجاع ، فقد استطاع أن يوقفنا على سيرة حياته منذ الطفولة ، حتى قبيل وفاته بزم من يسير ، ويدلنا على أطوار متعددة من أطوار شخصيته ، التي كانت في مجملها شخصية الفارس التي تنسم بالشجاعة والمروءة» .

ويقوم كتاب الاعتبار على فكرة واحدة أساسية ، يمكن عدها الفكرة الأم التي تدور حولها كل الحوادث المسروبة في النص وفلسفة هذه الفكرة تقوم على قاعدة إسلامية مأخوذة من قوله سبحانه وتعالى : ((وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْجِرُونَ)). وهي أن الإنسان لا يحين أجله بركوب المخاطر ولا يتأخر بالتهانؤن والخوف من المخاطر ، وهو يجمل هذه الفكرة بقوله : «فلا يظن ظان أن الموت يقتمه ركوب الخطر ، ولا يؤخره شدة الحذر ، ففي بقائي أوضح معتبر ، فكم لقيت من الأهوال وتحممت المخاوف والأخطار ، ولاقيت الفرسان ، وقتلت الأسود ، وضربت بالسيف ، وطعنت بالرمح ، وجرحت بالسهم .. - وأنا من الأجل في حصن حصين - إلى أن بلغت تمام التسعين فرأيت للصحة والبقاء ..

فأعقبت النجاة من تلك الأهوال ما هو أصعب من القتل والقتال ، وكان الهلاك في كنه الجيش أسهل ، من تكاليف العيش . استرجعت مني الأيام بطول الحياة ، سائر محبوب الذات وشاب كدر النكد صفو العيش الرغيد» . وأما القرن السابع للهجرة فنجد فيه سيرا ذاتية قليلة منها ما كتبه عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩هـ) ، الذي نجد فيه بعض ملامح السيرة الذاتية القديمة ، فيذكر في سيرته ، ولادته وكيف أخذه أبوه بالتعليم منذ نعومة أظفاره والكتب التي قرأها ، وشيوخه الذين تلقى عليهم العلم ، ورحلاته ، ولقاءه بالعلماء والمشايخ . وهي سيرة طويلة أوردتها ابن أبي أصيبعة في كتابه المذكور سابقا .

وفضلا عن هذه السيرة ظهرت تراجم ذاتية عديدة في هذا القرن ، منها ما كتبه ابن الفارض (ت ٦٣٢هـ) وقد جاءت على شكل قصيدة سماها (نظم السلوك) ، صور لنا فيها معارجه الروحي ، وما عناه في المعراج من شذائد حتى وصل إلى مقام الاتحاد بالذات العليا .

وكذلك أبو شامة المقدسي () (ت ٦٦٥هـ) ، إذ كتب ترجمة لحياته الصوفية ، ضمنها كتابه (الروضتين في تاريخ الدولتين) ، دولة نور الدين ، ودولة صلاح الدين الأيوبي . ومن ترجمات هذا العصر ترجمة الأديب ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ) في كتابه (المغرب في حلي المغرب)

وأما في القرن الثامن للهجرة ، فقد شهد هذا الفن تطورا ملحوظا ولا سيما في المغرب العربي فقد كتب لسان الدين الخطيب (ت ٧٧٦هـ) ترجمة ذاتية ضمنها كتابه (الإحاطة في أخبار غرناطة) ، صور فيها دوره في الحياة السياسية والأدبية .

وأما على صعيد السيرة الذاتية فقد كتب ابن خلدون سيرته الذاتية في كتابه الموسوم (التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا) .

وقد أعطى ابن خلدون في سيرته هذه صورة واضحة وكاملة عن نفسه ، فقد تحدث فيها عن بيئته ونشأته ومشيخته ،

وأسفاره في المغرب العربي ومشرقه ، والمناصب التي تولاها . والكتاب ذو بناء واضح ، إذ «يبتدئ من تتبع ابن خلدون لمراحل حياته ، منذ ولادته وطفولته ، ثم ينمو البناء ، مع نمو الشخصية وامتداد علاقاتها مع الآخرين ، ويتعمق مع ازدياد الاتصال مع الآخرين وتعمقه وتشابكه فهو بناء تام مطرد يسير مع خط الزمن مبتكنا من الماضي البعيد وممتدا لحظة كتابة المؤلف ، أو وقت كتابته للتعريف» .

أما غرض ابن خلدون من كتابة سيرته ، فهو للدفاع عن النفس وإتصافه من جهة. بعد أن شعر أن الناس لم ينصفوه ، وتصوير تلك الشهرة العريضة والمنزلة الرفيعة التي نالها في الحياة السياسية والاجتماعية من جهة أخرى .

والقارئ لسيرة ابن خلدون ، يجد هذين الغرضين واضحين في متن الكتاب ، فمن أمثلة الدفاع عن النفس وتسويق ما قام به في حياته ، حديثه عن سجنه من قبل السلطان ابن عفان لمشاركته مع صاحب بجاية ، في التخطيط ضده

ومن أمثلة الغرض الثاني حديثه عند دخوله إلى مصر ، وقد سبقته شهرته ،
وانهيار طلبة العلم عليه إذ يقول : «ولما دخلتها أقمت أياما ، إنثال علي طلبة العلم بها ، يلتمسون الإفادة مع
قلة البضاعة ، ولم يوسعني عنراً ، فجلست للتدريس بالجامع الأزهر منها .
ومن المؤاخذات التي أخذت على هذه السيرة الذاتية ، أنها اتسمت بالطابع التاريخي الذي يخرج عن الواقع
الذاتي لابن خلدون إلى الحديث المسهب عن أحداث وشخصيات خارجية وأنه يعتمد إلى إثبات الرسائل والأشعار
المطولة له وللآخرين .
لأمر الذي دفع بالباحثة أنغام شعبان إلى القول بغلبة الطابع التاريخي على الكتاب إلى الحد الذي جعل شخصية
ابن خلدون مختفية وراء الأحداث التاريخية .

وهذا القول فيه نظر ، فصحيح أن ابن خلدون لم يفارقه الهاجس التاريخي ، حتى وهو يكتب سيرته الذاتية إلا أن
حضور الطابع التاريخي في الكتاب لا يلغي الغاية الأساسية التي من أجلها كتب ابن خلدون سيرته الذاتية فهو يعي
أن شخصيته هي محور الكتاب ، وأن أخباره هي مادة التعريف ، إذ نجده يقول بعد أن انتهى من ترجمته لشيوخه :
«هذا ذكر ما حظرنا من جملة أخبار السلطان أبي الحسن ، من أشيائنا ، وأصحابنا ، وليس موضوع الكتاب الإطالة
، فلنقتصر على هذا القدر ونرجع إلى ما كنا فيه من أخبار المؤلف» . ومع ذلك يسمح لنفسه بعدد من التجاوزات
استجابة لوطاة الهاجس التاريخي ونزعة التتبع التي اعتاد عليها .
ويرى كيلبطو أن سبب حضور التاريخ في كتاب التعريف ، إن ابن خلدون عايش أحداثاً سياسية ، وشارك فيها ،
ومن واجبه الإدلاء بشهادته ، خصوصاً وأن هذه الشهادة نابعة من شخص ذي امتياز ، لأنه بحكم معاشرته لذوي
الأمر كان في موقع يسمح له بمراقبة ما يجري عند من يضعون التاريخ ، لذلك فإن الأنا التي نجدها في التعريف هي
الأنا التاريخي ، المشاركة مع الآخرين في أحداث تاريخية معينة ،
وأما كثرة الأشعار الواردة في السيرة ، فإن لورودها غرضاً مقصوداً من المؤلف ، ألا وهو «إبراز صورة
شخص متبحر في الشعر ، صورة مشارك في فن الكتابة وفن الشعر ، صورة شخص ينتمي إلى أهل الفضل في
الرياسة ، وكذلك إلى أهل الفضل في قول الشعر» .
وحتى الرسائل المطولة فهي غرض مقصود في السيرة ، هو أنها «تؤكد من جهة ، معاشرة ابن خلدون لأولي
الأمر ، ومن جهة أخرى - وهذا هو الأهم - توثق أقواله وتمنحها المصادقية التي تحتاج إليها .
والحق أنه على الرغم من الطابع التاريخي لكتاب ابن خلدون ، وكثرة الأشعار والرسائل المطولة فيه ، فقد
أعطى صورة كاملة وواضحة عن شخصية ابن خلدون المؤرخ والأديب والشاعر ، ودوره في الحياة السياسية
والاجتماعية ، ووصل الغرض المقصود من كتابه إلى القارئ .
وتتوالى كتابات التراجم الذاتية بعد عصر ابن خلدون ولا سيما عند العلماء الذين ألفوا
كتب الطبقات . ومن أشهر من ترجموا لأنفسهم محمد بن محمد الجزري (ت ٨٣٣هـ) ،
وقد ضمنها كتابه (غاية النهاية في طبقات القراء) ، ومحمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) الذي ترجم
لنفسه في كتابه (الضوء اللامع في رجال القرن التاسع للهجرة) والسيوطي (ت ٩١١هـ) الذي ترجم لنفسه في
كتابه (حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة) وهذه التراجم لا تفصح إلا عن الحياة العلمية ولا تتعدى ذكر
الولادة والنسب والعلوم التي تلقوها ، والمشايخ الذين تلقوا عنهم العلوم ، والمناصب التي احتلوها والمؤلفات التي
ألفوها .

ومن ترجم لنفسه متأثراً بمن سبقوه محمد بن طولون (ت ٩٥٣هـ) ، وقد أقر لنفسه ترجمة أودعها كتابه
الموسوم (الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون) وهذه الترجمة لا تختلف عن التراجم السابقة في أنها
اقتصرت على الحياة العلمية للمؤلف .

وظهرت فضلاً عن هذه التراجم الذاتية ، في القرنين الأخيرين ، سيرة ذاتية كتبها الشعرا (ت ٩٧٣هـ) وهو
أحد المتصوفة ، في كتاب سماه (لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق) ، وقد
جاء في مجلدتين ضخمتين ذكر فيهما الشعرا من مناقبه وفضائله «وما كان يلتزمه من مجاهدات تقوم على الزهد من
الدنيا ، وطيباتها والتوكل على الله مع الصلاة ، والتسبيح وتلاوة القرآن الكريم ، ويعرفنا في أثناء ذلك بزوايته ،
وكثرة المريدين له ، وما كان يأخذ به من آداب ، ويبسط أمامنا كل سيرته في صلته بالحكام والعلماء والمتصوفة
وعامة المصريين من الفلاحين وغيرهم ..

ولا يترك واردة ولا شاردة في حياته الشخصية إلا ويقصها . حتى معاملته لزوجته وخادمه ، وهو يقص ذلك في بساطة ومداخلة»

ويوضح الشعراني الغاية من هذه السيرة ويجعلها في عدة أمور هي :

١. اقتداء الناس بهذه السيرة ، وأن يتخلقوا بها ، ويشكروا الله تعالى على ذلك .
٢. قصد بها دوام الشكر لله (سبحانه وتعالى) ، فشكر اللسان ينقضي بموت العبد ، وشكر الله تعالى في الكتاب أكثر دواماً ، فيكون بذلك كالثائب في الشكر عن المؤلف .
٣. إعلام أهل عصره بدرجة في العلم والعمل ليقتدوا به .

٤. استفتاء من أراد من إخوانه أن يذكر شيئاً من مناقبه عن الفحص عنها ، والتتبع لها ، وربما زاد فيها أو نقص ، كما يقع فيه ،

من يجمع مناقب العلماء الصالحين .

ويتميز أسلوب الشعراني بالسهولة والوضوح والحوار الدارج الذي ينقل لنا واقع الشخصيات المتحاوره فضلاً عن العناية بتصوير الجوانب المختلفة من شخصيته وفي مراحل حياته المختلفة مع تصوير الأثر المتبادل بينه وبين أسرته وبيئته ومجتمعه ، ولكن يؤخذ عليه كثرة الاستطراد والتكرار الذي يؤدي إلى قطع السرد وجعل الصياغة غير مترابطة .

وخلاصة الأمر إن الأدب العربي القديم ، عرف للسيرة الذاتية مثلاً عرف الألوان الأخرى من الكتابة ، التي تعتمد على التعبير المباشر عن شخصية كاتبها ،

مثل المذكرات (سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة) واليوميات (يوميات أديب) للباخري ، والاعترافات (طوق الحمامة في الألفة والألاف) ، لابن حزم ،

وإن كان مدلول هذه المصطلحات لم يكن متبلوراً في النقد العربي القديم ولعله لم يرد في كتبهم ما يحمل اسماً من هذه المصطلحات الحديثة على الرغم من احتوائه على جوانب من تجاربهم الذاتية .

ولكن حظ الأدب العربي القديم من السيرة الذاتية يعد قليلاً مقارنة بالكلم الهائل من التراجم العامة على نحو عام والتراجم الذاتية على نحو خاص .

ويندر أن نعثر على سيرة ذاتية يمكن أن يعتد بها في مجال الدراسات الأدبية ، بعد سيرة الشعراني الذاتية، التي ذاع صيتها منذ القرن العاشر للهجرة (القرن السادس عشر للميلاد)، ومنذ ذلك التاريخ وإلى القرن التاسع عشر الميلادي لا نكاد نعثر على سيرة ذاتية ذات بال فيما عدا بعض التراجم الذاتية الموجزة من مثل (الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة) للمؤرخ نجم الدين الغزي (ت ١٠١١هـ) ، و (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) لمحمد أمين المجبي (ت ١١١١هـ) ، و (سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر) لمحمد خليل المرادي (ت ١٢٠٦هـ) ، و (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) لعبد الرحمن الجبرتي . ويعود سبب ذلك إلى الجمود الفكري الذي أصاب الحياة في العالم العربي، الذي شمل ميادين الأدب بفنونه كافة .

أما القرن التاسع عشر فقد شهد فيه فن السيرة الذاتية تطوراً ملحوظاً شأنه شأن فنون الأدب الأخرى ، نتيجة للنهضة العلمية والأدبية التي شهدتها العالم العربي على نحو عام والمصري على نحو خاص، نافضة عنها غبار الجمود والتخلف ،

وقد كان للبعثات والوفادات العربية إلى أوروبا ، والانفتاح على الحضارة الغربية الأثر الكبير ليس في مجال الأدب حسب، وإنما في كل الميادين العلمية . وبعد هذا القرن ، بداية الفكر العربي الحديث، إذ حدث خلاله الصدام الفكري بين الفكرين الشرقي والغربي ، وقد نتج عن ذلك تكوين حركات الفكر العربي الحديث ومدارسه ، ومن هذه الحركات: الحركة الفكرية التي دعا إليها رفاة رافع الطهطاوي (١٨٠٠-١٨٧٣م)، إذ دعا إلى للديمقراطية الليبرالية في مصر ، وضرورة التخلص من الجمود والتخلف الذي خيم على العالم العربي طوال العصور الوسطى . وكذلك حركة جمال الدين الأفغاني التي كان لها تأثير كبير في الحياة العربية السياسية والأدبية ، وقد دعت إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية الحديثة، مع الاحتفاظ بالحضارة العربية الأصيلة، والعمل على بعث مجد العروبة والإسلام .

ومن السير الذاتية التي ظهرت في هذا القرن، ما كتبه كل من الشيخ محمد عياد الطنطاوي (١٨١٠-١٨٦١م) ، وعلي مبارك (١٨٢٤-١٨٩٢م) ، والشيخ محمد عبده (١٨٢٤-١٩٠٥م) . ونهج أصحاب هذه السير الذاتية نهج السيرة الذاتية العربية القديمة، التي يزر بها تراثنا العربي ، ويعنى فيها أصحابها بـ «إثبات مراحل تطوره العلمي والفكري منذ الطفولة وحتى وقت كتابة ترجمته ، وقد يعنى له ذكر أسرته وأصولها، وما وقع له من الأحداث البارزة في حياته ، ولكنها لا تختلف في جملتها عن السير الذاتية التي خلفها لنا علماء العرب منذ القديم» . وإلى جانب كتابة السيرة الذاتية المتأثرة بالسير الذاتية العربية القديمة، ظهرت في هذا القرن سيرة أخرى متأثرة بالسير الذاتية الغربية، عندما أتيح للكتاب الإطلاع على تلك الآداب والإلمام بها ، من مثل ما كتبه رفاعة رافع الطهطاوي في (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) ، وعلي مبارك في (علم الدين) ، وأحمد فارس الشدياق في (الساق على الساق فيما هو الفاريق) . وهذا التأثير لم يكن في أسلوب الكتابة حسب، وإنما كان في المضمون وما يحمله من إشارات إلى الجديد من الفكر والثقافة

والحياة الغربية، التي تختلف كثيراً عن تلك التي نحيها في الشرق . ويلاحظ على هذه السير الذاتية، سواء تلك التي سارت على نهج السيرة الذاتية القديمة، أم تلك التي حاولت الإستفادة من جديد الحضارة الغربية، بعد الإطلاع عليها بوصفها «ليست سيرة مستقلة تماماً، فهي تحتاج إلى من يستخرجها ويعيد تقديمها ...، إنها أشبه شيء بالفراشة، تحاول الخروج من الشرنقة، بمعنى أن الشخصية غير مصقولة وليست واضحة الوضوح الكافي» .

ومن أبرز السير الذاتية في هذا العصر سيرة أحمد فارس الشدياق ، إذ نجده ينقل حياته منذ الولادة في (عشقوت) سنة ١٨٠٥م، وحتى العقد الخامس من عمره، عندما بدأ بكتابة هذه السيرة الأدبية. وقد صور فيها كل جوانب حياته، ونقل لنا تجاربه وملاحظاته عن رحلاته إلى أوروبا، وطبيعة الحياة الأدبية، مقارناً إياها بالحياة الشرقية . ومن الأمور اللافتة للنظر في هذه السيرة، حديثه عن المرأة، ووصف مفاتها على نحو مكشوف يصل إلى حد الإثارة والإبتذال، من ذلك وصفه ليلة زفافه مع فتاة مصرية، وتصويره إياها تصويراً لا يخلو من إفحاش . وفي الكتاب كثير من هذه الفقرات الماجنة، وهذا ليس بالأمر العجيب، إذا أدركنا أنها أحد الغرضين الأساسيين في الكتاب بحسب تصريح المؤلف نفسه، الذي بين أن غرضه من تأليف الكتاب هو إبراز غرائب اللغة ونواذرها ، ووصف محامد النساء ومذامهن ثانياً . ويؤخذ على هذه السيرة ولعه بغرائب اللغة، وانقياده لطبيعة المقامة ، واستعماله للسجع، وكثرة الإستطرادات، وما تحويه من قصائد ومقاطع شعرية، فضلاً عما تضمه من السخرية اللاذعة والمزاج المرح، الذي كان يميل به لحد المجون والعبث بالشخصيات والوقائع.

وكل هذه الأمور جعلت النقاد ، ومنهم إحسان عباس ويحيى إبراهيم عبد الدايم يخرجونها من دائرة السيرة الذاتية بمعناها الفني .

وخلاصة القول إن السيرة الذاتية التي كتبت في القرن التاسع عشر، تعد خطوة متقدمة في كتابة السيرة الذاتية العربية بمعناها الفني الحديث .

وأما في القرن العشرين فقد كان لظهور الطبقة المثقفة المتوسطة ، وشعورها بالحرية الفردية وضرورة الإستقلال الذاتي ، وحرصها على التخلص من التبعية الإستعمارية ، وقيام دعوات الإصلاح الإجتماعي والسياسي والإقتصادي والفكري، أثره الكبير في الأدب العربي على نحو عام، والأدب الروائي على نحو خاص . وقد ظهر خلال هذه الحقبة جيل جديد من الأدباء معظمهم كما أشرنا من الطبقة الوسطى ، حاولوا أن ينحوا بالأدب منحى آخر يخلصه من الجمود والتخلف، داعين إلى إيجاد «أدب نابع من إحساس الشعب بآماله وآلامه بعيداً عن الإقتباس الكامل من الغير ، أو التبعية المطلقة للتقاليد والموروثات» .

والسيرة الذاتية واحدة من الأشكال الأدبية التي حاول الأدباء أن يعبروا من خلالها عن أزمة الإنسان العربي من جهة،

وأزمة الفكر العربي المعاصر من جهة أخرى . وقد ظهرت السيرة الذاتية في بداية هذا القرن جنباً إلى جنب مع الرواية ، فجاءت إما مترجمة مع الرواية، مما يطلق عليها في الإصطلاح الحديث (الرواية السير ذاتية)، على نحو ما نجده في رواية (زينب) لمحمد حسين هيكل ، و(سارة) لعباس محمود العقاد ، و(إبراهيم الكاتب) و(إبراهيم الثاني) للمازني ، و(زهرة العمر) ، و(سجن العمر) ، و(يوميات نائب في الأرياف) لتوفيق الحكيم . أو جاءت

مستقلة على نحو ما نجده في (أنا) و (حياة قلم) للعقاد ، و(حياتي) لأحمد أمين ، و(سبعون) لميخائيل نعيمة .
ويشارك أبناء هذا الجيل في العديد من الخصائص والمميزات ، فهم ينتمون إلى الطبقة المتوسطة المحافظة اجتماعياً، ومعظمهم من بيئات شعبية أو ريفية أو حضرية ، ويشاركون جميعهم في أنهم واجهوا صراعاً فكرياً حاداً، ما بين ظاهري مجتمعهم الذي يحاول أن يلحق بالحضارة الغربية المتقدمة ، وبين واقعهم المشدود بألف قيد إلى العادات والتقاليد القديمة. وزاد الأمر تعقيداً حدوث الحرب العالمية الأولى، الأمر الذي جعل الكثير من الأدباء يعيدون النظر في نظرتهم إلى الحضارة الغربية التي كانت بمثابة المثل الأعلى، يستمدون منها أفكارهم المثالية . وكان لشعور هؤلاء الأدباء بعدم الانتماء إلى هذا الواقع ورفضهم لقيمه ومثله وعدم قدرتهم على التعاطف معه من جهة ، والإحساس الشديد بالذات من جهة أخرى، أثره الكبير في نتائجهم الأدبية .

ويرى الباحث في هذا الموضوع أن أغلب أدباء العرب قد حاولوا التخفي وراء الرواية في كتاباتهم عن الذات، متخذين منها وسيلة لتقديم جوانب من حياتهم ومن تجاربهم الشخصية خلال عالمهم الروائي ، لذلك فإن أغلب كتاباتهم في هذا الموضوع تنتمي إلى السيرة الذاتية الروائية، أكثر من انتمائها إلى السيرة الذاتية، إذ يتيح لهم هذا الأسلوب «أن يمارسوا الصنق الذي يطلعون إليه من دون حرج أو خشية ، لأن ما يتحدثون عنه لا ينسب إليهم أو إلى من يحرصون عليهم من أشخاص أو أوضاع على نحو مباشر» .

ونظراً لأن أغلب كتاب السيرة الذاتية روائيون ، وأنهم حاولوا الاستفادة من تقنيات الرواية في كتابة سيرهم الذاتية من جهة ، وقرب السيرة الذاتية من الرواية من جهة أخرى ، «كانت أسباب نشأة الرواية في عمومها، مفسرة لنشأة السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مع عدد من المميزات المرتبطة بعلاقة الكتابة بالفرد» .

وإذا كان بعض النقاد الغربيين يرون في اعترافات روسو للبداية للتاريخ الحقيقي للسيرة الذاتية الحديثة في الغرب، فقد ذهب بعض النقاد العرب إلى أن كتاب (الأيام) لطه حسين، هو النص التأسيسي الأول في السيرة الذاتية العربية الحديثة ،

على الرغم من الإشكالية التي أثارها عند النقاد في تحديد هويته ، إذ يرى عبد المحسن طه بدر أن الباحث قد يظلم الكتاب وصاحبه لو إكتفى بتطبيق مقاييس الرواية الفنية على الكتاب ،

وفي الوقت نفسه لا يستطيع أن يعد كتاب الأيام سيرة ذاتية، ويقف عند هذا الحد . ولم تكن حيرة يحيى إبراهيم عبد الدايم أقل من زميله عندما ذهب إلى أن كتاب الأيام اتخذ أسلوباً وسطاً بين الرواية الفنية والسيرة الذاتية الروائية .

وحتى شكري المبخوت الذي تعد دراسته من الدراسات الحديثة في هذا المجال، لم يستطع الجزم في هذا الموضوع ، فهو يرى أن خلو كتاب (الأيام) من عقد القراءة (الميثاق السري ذاتي) جعل المجال مفتوحاً أمام القارئ، وترك له حرية القراءة ، فله أن يرى في الأيام ، رواية ، وله أن يرى فيها سيرة ذاتية .

ولكنه مال إلى الافتراض الثاني، وانتهى إلى القول بأن اختراق طه حسين لقواعد كتابة السيرة الذاتية، «دليل على أنه كان يقصد إلى الابتداع،

وجعل كتابه يغري ويمتع، فيحافظ على بعض سره، دون أن تهتكه الدراسات مهما تكاثرت» . لقد أعطى كتاب (الأيام) بغض النظر عن هويته، صورة واضحة عن شخصية طه حسين ، وكشف عن جوانب غير قليلة من حياته منذ الطفولة وحتى فترة قريبة من كتابة سيرته، ومن التعسف أن ننكر وجوده وحياته التي رسمها في النص، بانتسابه إلى الرواية ، وحتى إلى السيرة الذاتية الروائية ، فعندما مثل طه حسين عن الأيام وما أثاره من حيرة لدى النقاد ، أجاب قائلا : «لا أدري ، هل ترونها مشكلة حقاً؟ رواية أو سيرة ذاتية؟ وما الفرق؟ الأدب كله سيرة ذاتية ، حتى حين يؤرخ الأديب لأحداث مضت، أو حين يرمز بالأساطير لفكرة معاصرة . الأدب ذاتي ، وتجسيده للموضوع موقف شخصي» .

ثم يصرح بكلام معبر عندما يقول: «لماذا تحرمونني من الوجود في (الأيام)، حتى تسمونها رواية ؟ ومن الذي قال لكم إن الرواية أعلى مرتبة من السيرة الشخصية في موازين الأدب». وكان لعباس محمود العقاد مشروع كتابة

سيرة ذاتية بعنوان (عتي)، إعتزم تقسيمه على جزأين، يتحدث في الأول عن حياته الشخصية، ويؤرخ الجزء الثاني لحياته الأدبية والسياسية والاجتماعية، ولكن يد المنون طالته قبل أن يُتم مشروعه .
ثم نشر بعد وفاته كتابين عن حياة العقاد الشخصية هما: (أنا) وهو مجموعة من المقالات نشرها العقاد في مجلة الهلال في فترات متفاوتة (١٩٣٣-١٩٤٧)، ثم جمعها ونشرها في كتاب محرر مجلة الهلال طاهر الطناحي بعد وفاته بعدة أشهر .

والكتاب الثاني (حياة قلم)، تحدث فيه العقاد عن حياته الأدبية والسياسية والصحفية والاجتماعية، وقد بدأ بكتابته منذ منتصف أغسطس ١٩٥٧، استرجع فيه ذكرياته الأولى عن ولادة قلمه في أسوان، مبيناً العوامل التي ساعدت على ذلك .

ويرى محمد الباردي أن سارد كتاب (أنا) للعقاد، ذو وجهين، «فهو -من ناحية- عباس محمود العقاد مؤلف فصول الكتاب، وهو من ناحية أخرى- كاتب أجنبي، وهو طاهر الطناحي مرتب هذه الفصول وجامعها، لذلك، فهو يتخذ -من ناحية- شكل السيرة الذاتية، إذا عدنا العقاد يتحدث عن نفسه، ويتخذ -من ناحية أخرى-

شكل السيرة فقط؛ إذ يمكن أن نعهده كتاباً عن عباس محمود العقاد، وضعه محرر مجلة الهلال طاهر الطناحي».

وقد كان ذلك سبباً في افتقار الكتاب إلى التماسك والترابط بين أجزائه، وإلى التدرج الزمني والتسلسل المنطقي .
إذ تتعدد أزمنة الكتابة وتتقطع أزمنة التجربة، ومما أضر بالبناء الفني، ولع الكاتب بالتحليل النفسي والتعليل، أو المحاجة العقلية، والاستدلال المنطقي، والمعالجة الموضوعية .

فضلاً عن «أن الفصول في تتابعها، لا تتخذ شكل قصة حياة شخصية، بقدر ما تبدو في شكل مباحث، تتعلق بمواضيع مختلفة، تتصل بحياة العقاد وتجاربه في الحياة» .

ومن رواد كتابة السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، أحمد أمين في كتابه (حياتي)، وقد تأثر في ذلك بزميله طه حسين في كتابه (الأيام)، ليس في الشهرة التي أحرزها هذا الكتاب، وإنما في تلك النشأة الأزهرية المشابهة لنشأة صاحب (الأيام)، وفي العلاقة بين الأدبيين .

والكتاب مزيج من السيرة الذاتية ومن المذكرات اليومية في شكله العام . وقد سرد فيها حياته سرداً مفصلاً، منذ أيام الطفولة، حتى قبيل وفاته بفترة قليلة، معتمداً على «الأسلوب القصصي الإخباري، الذي يكاد يخلو من العناصر الفنية للبناء الروائي، أو البناء الدرامي كالتصوير والحوار» .

ويرى يحيى إبراهيم عبد الدايم أن لـ(حياتي) مكانة تتوسط بين ثنائية العقاد التي تتشابه معها في التحليل والتقدير، وقلة العناية بالعناصر الفنية الروائية، والتفكك في بعض أجزاء الكتاب، عندما بُثت فيها بعض مذكراته اليومية، وبين (الأيام)، إذ إنهما يلتقيان في طريقة السرد القصصي، مع تفاوت كبير بينهما في الإفادة من فنية القالب الروائي .

وعلى الرغم من المآخذ التي أخذت على كتاب (حياتي) لأحمد أمين من الناحية الفنية، إلا أنه يعد كتاباً سير ذاتياً أطلعنا صاحبه «على محتوى وإف لسيرة حياته، نستدل منه على مقومات شخصيته، وملامحه المزاجية والخلقية والنفسية والثقافية،

على مدى مراحل عمره المختلفة منذ طفولته إلى ما قبل وفاته، ونقل إلينا شخصيته في أطوارها المختلفة، مظهراً تأثير العوامل الموروثة في دمه، والمكتسبة من بيئته في تكوينه، مبيناً ما طرأ عليها، من نقاط تحول في أكثر أطوارها، في شمول وإحاطة وعناية بإثبات التواريخ، والإفصاح عن أسماء الشخصيات والأماكن» .

ومن الأدباء الذين تركوا لنا سيرتهم الذاتية أيضاً، ميخائيل نعيمة في كتاب أسماء (سبعون حكاية عمر)، وقد كتبها على ثلاث مراحل: صور في الأولى مرحلة الطفولة وصولاً إلى مطلع الشباب (١٨٨٩-١٩١١م)،

وصور في الثانية (١٩١١-١٩٣٢م) مرحلة الشباب والرجولة بنضوجها الفكري، والصراع المتواصل مع رغائبه الجسدية، وصور في الثالثة (١٩٣٢-١٩٥٩) حياته في لبنان، بعد عودته إليها في سنواته الأخيرة، ليستقر في قريته، وينصرف إلى حياته الفكرية، متوقفاً عند سنة ١٩٥٩ .

وتعد هذه السيرة من السير الذاتية العربية القليلة التي توافرت فيها أكثر الخصائص الفنية من حيث الميثاق السير ذاتي، والتطابق بين المؤلف - السارد - والشخصية المركزية، واعتمادها على الترتيب الزمني والمنظور الاسترجاعي في القص، فضلاً عن تقديمها صورة واضحة وواقعية عن حياة صاحبها في مختلف أطوار شخصيته

، وما طرأ عليها من تقلبات وتغيرات وما عانته من ألوان الصراع ، واستبطان عميق لاختلالها وتحليل مستقصى لدوافعها.

ويلاحظ على النصوص التأسيسية الأولى للسيرة الذاتية العربية الحديثة، إنها تنوعت في أساليبها واختلفت في طرائقها ، فعانت للرواية حيناً، ودنت من المقالة حيناً آخر ، أو استفادت منهما معاً ، أو عمدت إلى أسلوب القصص الإخباري ، الأمر الذي يجعل من الصعب التحدث عن شكل قار ونهائي في السيرة الذاتية العربية ، وربما لأن السيرة الذاتية من أكثر الأنواع الأدبية انفتاحاً على مثيلاتها من الأنواع الأدبية المقاربة لها ، وتظل علاقة السيرة الذاتية بالرواية هي العلاقة الأكثر انتشاراً واستخداماً ليس من قبل كتابنا العرب حسب وإنما على الصعيد العالمي أيضاً .

ويلاحظ على السيرة الذاتية أيضاً، على الرغم من اشتراكها مع الرواية العربية في الكثير من أسباب نشوئها ، وأنها وجدا في الأدب العربي الحديث جنباً إلى جنب ، بل جاء في بعض الأعمال ممتزجين ، إلا أنها – أي السيرة الذاتية – لم تزدهر في أدبنا العربي الحديث مثلما ازدهرت في الرواية . ولعل سبب ذلك يعود إلى أن «مناخ الحرية، والممارسة الديموقراطية في مجتمعاتنا العربية، لا يسمحان لكتابنا بأن يطوروا هذا الشكل الأدبي إلى المستويات التي وصل إليها غيرنا في الآداب العالمية ،

حيث يستمد هذا الشكل قيمته وأهميته في تقديمه لمستويات عالية من الصدق فيما يتصل بحياة الكاتب الخاصة والعامة، وخبراته الشخصية في مختلف المجالات، مهما اصطدم هذا الصدق بما هو سائد في المجتمع من قيم أو نظم أو تيارات» .

وأخيراً فقد أشرنا طرح موضوع السيرة الذاتية في الأدب العربي وجنور نشأتها فيه بهذا الاستقصاء ، كي نبرهن أن السيرة الذاتية ليست وليدة الثقافة الغربية .

وإن نشأتها في الأدب العربي وتطورها لم يختلف كثيراً عن نشأتها في الآداب الغربية ، وإن كنا نفر بقلتها من حيث الكم الناتج مقارنة بالسيرة الذاتية الغربية . فمثلما مرت السيرة الذاتية بعدة مراحل في الأدب الغربي، حتى استوت ونضجت على يد روسو ، نلاحظ أن السيرة الذاتية العربية أيضاً مرت بعدة مراحل ، من الترجمة الذاتية التي شهدناها في القرن الثاني والثالث حتى الخامس للهجرة ، إلى الاعترافات واليوميات والمذكرات في القرن الخامس ،

ثم ظهور أولى الكتابات التي يمكن عدها سيراً ذاتية، من مثل سيرة أسامة بن منقذ (الاعتبار) ، وعمارة اليميني (النكت المصرية في الإخبار عن الوزارة المصرية) ، وابن خلدون (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً)، واستوائها ونضوجها في القرنين الأخيرين على يد محمد عبده وعلي مبارك وأحمد فارس الشدياق في القرن التاسع عشر . وطه حسين وأحمد أمين وميخائيل نعيمة في القرن العشرين .

الهوامش والإحالات

السيرة الذاتية، جورج ماي، تعريب: محمد القاضي وعبد الله صولة، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة)، تونس، ط١: ٢٣ .

نقلاً عن : م . ن : ٢٢ .

م . ن : ٢٢ .

م . ن : ٢٣ .

الموت والعبقريّة، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٤٥ : ١١٥ - ١١٦ .

ينظر: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث يحيى إبراهيم عبد الدايم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٤ : ز، والنقد والحداثة، عبد السلام المسدي ، منشورات دار أمية، ودار العهد الجديد، المطبعة العربية، تونس، ط٢، ١٩٨٩ : ١١٥ .

م . ن : ١٠٨ .

م . ن : ١٠٩ .

سيرة الغائب - سيرة الآتي: السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطف حسين، شكري المبخوت، دار الجنوب للنشر، تونس، ط١، ١٩٩٢ : ٢٤ .
 الحكاية والتأويل: دراسات في السرد العربي، عبد الفتاح كيليطو، سلسلة المعرفة الأدبية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٨ : ٦٨ .
 ينظر: فن السيرة، د. إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط٥، ١٩٨٨ : ١١٨ .
 ينظر: الترجمة الشخصية، د. شوقي ضيف، سلسلة فنون الأدب العربي - الفن القصصي (٣)، دار المعارف ، القاهرة، ط٣، ١٩٥٦ : ١٠٠-١٠١ .
 ينظر: حياتي، أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٥٠

المقدمة :

ينظر: شارع الأميرات، جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٤ : ٧ .
 كتجربة جبرا إبراهيم جبرا في رواياته (صيادون في شارع ضيق، السفينة، البحث عن وليد مسعود)، ينظر: سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الأميرات، د. خليل شكري هياس، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠١ : ٦١-٧٣ .
 كتجربة ابن حزم في كتابه (طوق الحمامة في الألفة والآلاف) .
 سيرة الغائب - سيرة الآتي: السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطف حسين: ٢٦ .
 م. ن: ٢٧ .
 نقلا عن: م. ن: ٢٧ .
 الحكاية والتأويل: ٧٦ .
 الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: ٤٢ .
 الموت والعبقريّة: ١١٧-١١٩ .
 م. ن: ١١٩-١٢٠ .
 الترجمة الشخصية: ١٢ .
 الترجمة الشخصية: ١٣ .
 السيرة الذاتية في الأدب العراقي الحديث: من القرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الثانية، أنغام عبد الله شعبان، رسالة ماجستير بإشراف الدكتور عناد الكبيسي،
 مقدمة إلى كلية الآداب - الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٠ : ١٨ .
 الترجمة الشخصية : ١٧-١٨ .
 م. ن: ٢٤ .
 الموت والعبقريّة: ١٢٣ .
 السيرة الذاتية في الأدب العراقي الحديث: ١٩ .
 طوق الحمامة في الألفة والآلاف: ١٠٩ .
 الترجمة الشخصية: ٤٣ .
 السيرة الذاتية في الأدب العراقي الحديث: ١٩ .
 الترجمة الشخصية: ٨٦ .
 م. ن: ٨٦ .
 م. ن: ٨٩-٩٠ .
 مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين (آخر ملوك بني زيري بغرناطة [٤٦٩ - ٤٨٣] المسمّاة بكتاب التبيان) ، نشر وتحقيق : أ. ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، مصر ، ط١، ١٩٥٥ : ٢٠٠-٢٠١ . م. ن: مقدمة المحقق: ٨ .
 الترجمة الشخصية: ٩١ .

الرزنامجة عند الشيخ محمد حسن آل ياسين لفظة فارسية يقصد بها اليوميات، ينظر: صاحب بن عباد حياته وأبيه، محمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ط ١، ١٩٥٧: ٢٤٣.

يوميات أديب: نص في السيرة الذاتية الأدبية من القرن الخامس الهجري، أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي الطيب الباخريزي، تحقيق: محمد قاسم مصطفى (كتاب مجلة آداب الرفادين ملحق بالعدد ١٨)، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل - كلية التربية، ١٩٨٩: ٢٧.

م. ن: ٥٣.

الذات ممحوة بالكتابة عن السيرة الذاتية نوعا أدبيا، حاتم الصكر، مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد ١٢، لسنة ١٩٩١: ١١٥-١١٦.

يوميات أديب: ١١٢.

الترجمة الشخصية: ٤٦.

ينظر: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، ط ٢، بيروت، ١٩٨٧: ٥٥٧-٥٥٨. النقد والحدث: ١١٦.

ينظر: فن السيرة: ١٢٦، الموت والعبقريّة: ١٢٠.

الترجمة الشخصية: ٩١.

السيرة الذاتية في الأدب العراقي الحديث: ٢٣.

كتاب للنكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، عمارة اليميني أبو محمد بن أبي الحسن نجم الدين (٥٦٩هـ)، تحقيق: هرتويغ درنبرغ، شالون مطبعة مرسو (١٨٨٧): ١٢.

م. ن: ١٢.

السيرة الذاتية في الأدب العراقي الحديث: ٢٣.

دراسات في كتب التراجم والسير، د. هاني العمدة، عمان، ط ١، ١٩٨١: ٣٠.

الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: ٤١.

سورة الأعراف: الآية ٣٤.

الاعتبار: ١٦٣.

الترجمة الشخصية: ٣٢.

م. ن: ٧٨.

الترجمة الشخصية: ٤٩.

م. ن: ٤٩.

السيرة الذاتية في الأدب العراقي الحديث: ٢٥.

فن السيرة: ١٣٠.

التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: محمد بن تاووت الطنجي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٥١: ١٠٦.

فن السيرة: ١٢٣.

ينظر: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا: ٦٦-٦٧.

م. ن: ٢٤٨.

الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: ٤٠.

م. ن: ٢٥.

التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا: ٥٥.

الحكاية والتأويل: ٧٥.

م. ن: ٧٩.

الكتابة والتأويل: ٧٩.

ينظر: الترجمة الشخصية: ٥٣-٥٦.

- ينظر: م . ن: ٥٦-٥٨ .
- الترجمة الشخصية: ٨٣ .
- دراسات في كتب التراجم والسير: ٢٩-٣٠ .
- الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: ٤٠ .
- م . ن: ٣٥ .
- دراسات في كتب التراجم والسير: ٣٢ .
- الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: ٤٥ .
- م . ن: ٤٦-٤٧ .
- الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: ٤٨-٤٩ .
- م . ن: ٤٨-٤٩ .
- السيرة تاريخ وفن، ماهر حسن فهمي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١ ، ١٩٧٠: ٢٧٠ .
- ينظر: الساق على الساق فيما هو الفاريق ، أحمد فارس الشدياق، تقديم وتعليق: الشيخ نسيم وهيبه الخازن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، ط١، (د . ت): ٤٠٣ .
- ينظر: م . ن: ٦٥-٦٧ .
- دراسات في كتب التراجم والسير: ٣٥ .
- ينظر فن السيرة: ١٣١ . والترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: ٧٥ .
- م . ن: ٧٨ .
- م . ن: ٧٨ .
- ينظر: تطور الرواية العربية الحديثة، د. عبد المحسن طه بدر: ٢٨٠-٢٨٢ .
- م . ن: ٢٨٧ .
- م . ن : ٢٨٩-٢٩٢ .
- البئر الأولى فصول من سيرة ذاتية، أبو المعاطي أبو النجاء، مجلة العربي، الكويت، العدد ٣٥٢ ، لسنة ١٩٨٨: ٣٧ .
- سيرة الغائب سيرة الآتي السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطف حسين: ٢٨ .
- السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث حدود الجنس وأشكاله، محمد الباردي، مجلة فصول، القاهرة، المجلد ١٦، العدد ٣، لسنة ١٩٩٧: ٦٩ .
- تطور الرواية العربية الحديثة: ٢٩٨-٢٩٩ .
- الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: ٤٣٧-٤٣٨ .
- سيرة الغائب سيرة الآتي السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطف حسين: ٤٢ .
- م . ن: ٤٣ .
- ماذا يبقى من طه حسين ؟ غالي شاکر (مقابلة مطولة) : ٤٧-٤٨، نقلا عن طه حسين والسيرة الذاتية، أحمد علي، مجلة الوحدة، المغرب، العدد ٦١ - ٦٢، لسنة ١٩٨٩: ٢٠٠-٢٠١ . م . ن: ٢٠٠-٢٠١ .
- السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث: حدود الجنس وإشكالاته: ٧٠ .
- م . ن: ٧٠ .
- الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: ٢١٨ .
- السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث: حدود الجنس وإشكالاته: ٧٠ .
- الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: ٢٣٧-٢٣٨ .
- السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث: حدود الجنس وإشكالاته: ٧٠ .
- فن السيرة: ١٣٥ .
- الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: ٢٦٣ .
- م . ن: ٢٦٣-٢٦٤ .